الانتفاضة ومؤسسة الامن الاسرائيلية

عمر سعادة

تنطوي معالجة التفاعلات بين الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ومؤسسة الامن الاسرائيلية على جملة من المفارقات والالتباسات الناجمة عن خصوصية الصراع المحتدم، منذ قرابة العام، بين الجماهير الفلسطينية في الوطن المحتل وبين الاحتلال الاسرائيلي.

فالاحداث التي شهدتها الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ أواخر العام الماضي، وضعت المعنيّين والمراقبين تجاه نموذج جديد من نماذج الصراع العربي ـ الاسرائيلي، لم تشهد المنطقة مثيلاً له من قبل. فهو جديد في شموليته المكانية والزمانية بقدر ما هو جديد في اساليبه وادواته وفعاليته. لقد بادرت الجماهير الفلسطينية، في الضفة والقطاع، الى اعلان صراع مفتوح في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي، اتسع ميدانه ليشمل كامل المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، وتجاوزها، وان بوتائر ادنى، الى عمق المناطق المحتلة العام ١٩٤٨، وامتدت فعالياته اليومية لتشمل حيزاً زمنياً طويلاً (قرابة العام؛ وما زال مرشحاً للامتداد)، وشارك فيه أوسع قطاعات وفئات الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل، وتنوّعت أشكال المواجهة وأساليبها وادواتها، بحيث اصبح المصطلح العربي «انتفاضة» يختزل، من الدلالات والابعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ما لا يتسع له مصطلح آخر في اللغات الحية، الى الحد الذي فرض على المعنيين والمراقبين، بمن فيهم الاسرائيليون، استخدام مصطلح الانتفاضة، للتعريف بما يجرى في فلسطين المحتلة.

فالانتفاضة ليست حركة مقاومة مدنية سلبية، على طريقة غاندي الذي ابتدع اسلوب المقاومة بلا عنف، على الرغم من تضمّن الانتفاضة للعديد من اساليب المقاومة السلبية، كالاضرابات والمقاطعة الاقتصادية والادارية والسياسية والاهتمام الخاص بالرأي العام العالمي. كما أنها تختلف، في الوقت عينه، عن الكفاح المسلح، بالنمط الذي مارسته فصائل المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية. فغياب الاسلحة النارية، والقذائف، والمتفجرات، التي تستخدمها مجموعات فدائية صغيرة منظمة ومدربة، كل ذلك يخرج الانتفاضة من اطار التعريف المتداول للكفاح المسلح.

لقد توقف الاسرائيليون مطوّلاً ازاء الانتفاضة الفلسطينية، في محاولات لفهم اسبابها وآلياتها وأبعادها، وبالتالي للوصول الى أنجع السبل في مواجهتها واخمادها. وعلى الرغم من اختلاف الاجتهادات، وتعدد الآراء، في تعريف الانتفاضة، وتوصيفها، وتحليل خلفياتها وأبعادها، فقد اتفقت غالبية الاسرائيليين ـ على الرغم من تباين مواقفها وانتماءاتها السياسية ـ على الخطر المتجسد في الانتفاضة، ليس على المستوى الآني فحسب، بل على المستوى الاستراتيجي. ففي هيئة الاركان الاسرائيلية، اعترف العديد من كبار القادة العسكريين بأن نتائج الانتفاضة «ستكون مصيرية بالنسبة الينا، بشكل لا تقل عن نتائج حرب الايام الستة، أو حرب يوم الغفران»[1].